المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــــدد 19A تشر2ين 2025
No.19A Nov. 2025

صورة الأُم في المدونة الأدبية (نازك الملائكة انموذجاً)

م.م.هيام نوماس عثمان
مديريه تربية ميسان
heyamnomas80@gmail.com

المستخلص

انطلاقاً من الدور العظيم الذي تلعبه (الأُم) في حركة حياة الإنسان ونمائها على مستوى الشعور والفكر والمواقف فهي مصنعه الأول، ووطنه الأول، وأُفقه البعيد السديد، عمدت الدراسة في محاولة لرصد الصور الإنسانية والثقافية المنثورة في المدونة الأدبية العربية ولاسيما الحديثة منها عن (الأُم) فالتفت الدراسة إلى صورٍ كان فيها غير المألوف تمثلت بما طرحته الشاعرة نازك الملائكة في نتاجها الأدبي النثري منه والشعري الذي تضمنته مقدمة ديوان (يغير ألوانه البحر) وقصيدة (ثلاث مرات لأُمي) وقصيدة (أُغنية لطفي) وقصيدة (أقوى من القبر) في محاولة لتقديم صورة غير نمطية لهذه المرأة (الأُم) التي تصنع الإنسان وتعلمه وتُربيه بما ورد من دلالات خصبة بين الشاعرة (الأُم) من جهة وبين نازك الملائكة وطفلها (بُراق) من جهة ثانية وبين نازك ومرجعية (أُمها) الوطنية من جهة ثالثة.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الأُم، المدونة الأدبية.

The Image of the Mother in Literary Writings (Nazik al-Mala'ika as a Model)

A.L. Heyam Noumas Othman
Maysan Education Directorate

Abstract

Based on the great role that the (mother) plays in the movement of human life and its growth at the level of feeling, thought and attitudes, as she is his first factory, his first homeland, and his far-reaching, sound horizon, the study attempted to monitor the human and cultural images scattered in the Arabic literary record, especially the modern ones, about the (mother). The study turned to images in which there was something unusual, represented by what the poet Nazik Al-Malaika presented in her literary output, both prose and poetry, which was included in the introduction to the collection (The Sea Changes Its Colors), the poem (Three Times for My Mother), the poem (Lutfi's Song), and the poem (Stronger Than the Grave), in an attempt to present an unorthodox image of this woman (the mother) who creates, teaches, and raises the human being, with the rich connotations between the poet (the mother) on the one hand, and Nazik Al-Malaika and her child (Buraq) on the other hand, and between Nazik and the national reference of (her mother) on the third hand.

Keywords: image, mother, literary blog.

المقدمة

للمرأة (الأُمّ) في حركة الحياة دور الإنسان الذي يهب الحياة للإنسان من موقع المعاناة والصبر والإحساس والاحتضان والرعاية والعطاء الذي لا ينفد، لذلك كان (للأُمّ) مكانةً مقدسةً، ومرتبةً عاليةً، ووجوداً ثريًا بالدلالات والمشاعر والمواقف في مدونة الأدب العربي ولاسيما الحديثة عنها، إذ صارت المرأة (الأُمّ) مصدراً للقيم الإنسانية والروحية السامية، فأصبحت حاضرةً في أشعارهم وأفكارهم، حتى

غدت رمزاً لما لا يحصى من الأفكار والمواقف والمشاعر، وقد أرادت هذه الدراسة البحث في صورة المرأة – (الأُم) عند نازك الملائكة، والأبعاد النفسية والروحية والثقافية لتلك الصورة وتأثيرها على وجدانية الشاعرة نازك الملائكة، وتأثر الشاعرة بتلك الصورة من أجل الكشف عن المنظور الإنساني الذي سعت نازك الملائكة إلى بلورته، وما يحمل ذلك المنظور من دلالات قيمّة سواء كانت نفسية أم ثقافية أو روحية تجاه المرأة (الأُم) تأثيراً وتأثراً.

وقد استعانت الدراسة بآلية التحليل والوصف للوقوف على بعض النصوص النثرية والشعرية لنازك الملائكة في ضوء خطة شملت مقدمة ومبحثين وخاتمة بالنتائج التي توصلت إليها الدارسة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وتطرقنا في المبحث الأول إلى معنى (الأُم) لغة واصطلاحاً، ومكانة الأُم في الحضارة الإسلامية، أهمية دور الأُم، أما المبحث الثاني فجاء يمثل الجانب التطبيقي للدراسة ووقفت الدراسة فيه على أهم المحطات التي تمثلت صورة الأُم عند نازك الملائكة، ثم خاتمة بالنتائج التي توصلت إليها الدراسة وقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول
المعنى اللغوي للأُم

الأُم: ((الشيء أصله، و(الأُمُّ) الوالدة والجمع (أمّات)، وأصل (الأُمُّ) أمُّهة، وتجمع (أُمُّهات) وقيل (الأُمُّهات) للناس، و (الأُمّات) للبهائم، وتصغير (الأُمُّ) (أُمّيمة) ورئيس القوم (أُمّهم)، وأُمُّ النجوم ، المجرة، وأُمّ الطريق معظمه))[1]، وقيل أيضاً: أن كل شيء قد ضُم له ما يليه يسمى (أُمّا) (وإنه في أُمّ الكتاب) (الزخرف:4)، المقصود به اللوح المحفوظ لأن العلوم قد تسربت منه، وأُمّ الكتاب، أي سورة الفاتحة، وتقول اللغة الأُمّ وتشير إلى أول لغة قد تكلم بها الإنسان، وهذا يدل على أن كلمة (أُم) كما أشرنا سابقاً هي أصل كل شيء[2].

وتطلق كلمة (أُمّ) على الوالدة كما تطلق على الجدة يقال حواء أُمّ البشر، ويقال هو من أُمّهات الخير، من أصوله ومعانيه، ويقال في الذم والسب: لا أُمّ لك، وقد تكون للمدح والتعجب[3].

التعريف الاصطلاحي (للأُمّ)

الأمومة وفقا لما يعرفها الدكتور محمد المهدي استشاري الطب النفسي بأنها: ((علاقة بيولوجية نفسية بين المرأة ومن تنجبهم وترعاهم من الأبناء والبنات))، وهو التعريف الذي أشار إليه د محمد المهدي للأمومة الكاملة التي تحمل وتلد وترضع (علاقة بيولوجية) وتحب وتتعلق وترعى (علاقة نفسية)[4] ويقف د. المهدي أمام ثلاثة أنواع من الأُمومة هي:

أ- الأُمومة الكاملة (بيولوجية ونفسية): وهي الأُم التي تحمل وتلد وترضع وترعى طفلها حتى يكبر.
ب- الأُمومة البيولوجية: هي الأُم التي تحمل وتلد فقط، ثم تترك ابنها لأي سبب كان، وهذه الأُمومة لا يعيها الطفل في كثير من الأحيان.
ج- الأمومة النفسية: وهي الأُم التي تبنت الطفل بعد فراقه من أمه البيولوجية فهي لم تحمل ولم تلد، فترعاه وتحيطه بحبها وحنانها حتى يكبر، وهذه الأمومة أكثر الأنواع وعيا عند الطفل من الأمومة البيولوجية لأنه أدركها ووعاها واستمتع بها.
د- الأُمومة الراعية: وتشمل الحب والعطف والود والرعاية والحنان والملاحظة والتدليل والمداعبة.

---

(1) مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة- الكويت، 1983م، ص25
(2) مفردات الفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تح، صفوان عرفان داووي، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، 2002م، ص48 - 85.
(3)المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى الزيات، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المكتبة العلمية، ج1، 1978، ص27.
(4)سيكولوجية الامومة، محمد المهدي، www.elezayem.com

وعليه فإن الأم هي التي تبعث الراحة والطمأنينة والمحبة في الأسرة، وهي مصدر سعادتها؛ إذ تبعث الالسلام في نفوس الصغار، فمن خصائص الأم وتكوينها الجسدي هو الاستعداد الفطري لتحمل مسئولية رعاية الأطفال وتربيتهم، وقد أشارت الدراسات العلمية إلى أنه إن حالت الظروف بين المرأة وبين تأدية تلك المسئولية لا شك ستصاب بالأمراض الجسدية والروحية[1].

مكانة الأُم في المجتمع الإسلامي

الأمومة هي أدق أدوار الوظائف في الحياة، فهي رسالة مقدسة قد كلفت المرأة بها[2]، لقد كانت الأم في مختلف العصور ذات مكانة مهمة، غير أنّ هذه المكانة اختلفت باختلاف النُّظم والقيم التي حكمت كل عصر. فقبل الإسلام، كانت الأم يُنظر إليها في كثير من البيئات نظرةً نفعية، بوصفها أداة إنتاج يُحرص على سلامتها لتؤدي وظيفتها في إنجاب الأبناء دون الالتفات إلى حقوقها الإنسانية أو قيمتها العاطفية والاجتماعية. أمّا بعد مجيء الإسلام، فقد تغيّرت مكانتها تغييرًا جوهريًا؛ إذ غدت واهبة الحياة، صاحبة الحقوق والواجبات، والمركز الأساس في بناء الفرد والأسرة، ثم منحها الإسلام مساحة واسعة من التقدير، وجعلها تشعر بأنّها تُعدّ ابنها لنفسها وللمجتمع معًا، لا للمجتمع وحده، كما غرس في قلب الابن شعورًا عميقًا بالامتنان، لأنه مدين لأمه بحياته وتربيته ونشأته، وهكذا ارتقت الأم من الدور البيولوجي الضيق إلى أفق رفيع من التكريم والمهابة، وأصدق دليل على ذلك ما جاء عن رسول الله أنه قال: "الجنةُ تحت أقدام الأمهات"[3].

وقد قال رجل يا رسول الله: من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال (ﷺ): "أُمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك، ثم أدناك أدناك"[4].

فالإسلام يدرك تمام الإدراك أن ما تتحمّله الأم من آلامٍ ومشاقّ وتضحيات في سبيل وليدها يجعلها جديرة بأن تكون سببًا لابنها في دخول الجنة، وأن يكون برّها وإرضاؤها ركنًا أصيلًا من أركان الإيمان الحق والإسلام الصادق. ولا فرق في ذلك بين أن تكون الأم أرفع من ولدها نسبًا أو دونه؛ فمجرد كونها أمًّا يكفي ليمنحها هذه المكانة السامية التي لا يرقى إليها أحد[5].

وقيل إنّ الأمهات أحقُّ بأولادهن من سائر الناس، بل ومن الآباء أنفسهم، لما يحملنه من عاطفةٍ صادقة ورعايةٍ لا يضاهيها حرص. ولهذا كان الأفضل أن يظلّ الأبناء في كنف أمّهم، فهي الأقدر على احتضانهم وتلبية حاجاتهم النفسية والوجدانية. وليس صحيحًا أن دور الأم ينتهي حين يبدأ الطفل مرحلة المدرسة؛ فمسؤوليتها التربوية ممتدة لا تنقطع، إذ تبقى المربية الأولى والركن الأساس في بناء شخصية الطفل، قبل المدرسة ومعها وبعدها[6].

صورة الأُم عند نازك الملائكة

تمكن شعراء العصر الحديث من رسم صورة غير نمطية تجاه (الأُم) محيطين بكل الأبعاد الإنسانية لتلك الصورة فجاءت الصورة متباينة في الشكل متنوعة في المضمون موحدة في الفكرة فنسجت صورة المرأة – الأم حضوراً بارزاً في المدونة الأدبية العربية مما يعكس التفات الشعر الحديث إلى قيم إنسانية وحضارية تمس واقع الشاعر وتلبي احتياجاته وتعكس همومه ومتطلباته لتتحول تلك القيم الإنسانية إلى تجارب ميدانية

(1) ينظر: دور الأم في التربية، علي القائمي، دار النبلاء- بيروت، ط5، 1326ه- 2005م، ص13
(2)ينظر: المرأة مع النبي، بنت الهدى، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة أمير-طهران 1999، ص88.
(3) المصدر نفسه: ص89.
(4) صحيح مسلم، أبي الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الآفاق العربية- القاهرة،1995م، ص173.
(5) ينظر:المرأة مع النبي، بنت الهدى: مصدر سابق، ص89.
(6) ينظر: الأُمومة جوهر أدوار المرأة- نموذج المرأة المسلمة، فاديا حسن حجازي، مجلة أوراق ثقافية، العدد (23)، السنة السنة الخامسة، 2023م، ص28.

محتضنة لكل الظواهر والصور والمواقف الإنسانية بلغة شعرية متجددة تسجل حضوراً مؤثراً لدى القارئ، ((ازدهر شعر الأُسرة عند شعراء العصر الحديث على اختلاف بيئاتهم، وقد قدسوا المرأة – الأُم ودورها في تحقيق المعاني النبيلة ورفعوها إلى أسمى المراتب، ورسموا لها صوراً جليلة في ظلالها المحبة والأمن والسرور فصارت صورة الأُم الشعرية تعبر عن قدرة الشاعر الحديث في التعبير عن ثقافة الأم والشاعر معاً، وصارت شكلاً من محاولات تطور الشعر العربي الحديث في مطلع القرن العشرين))[1].

وتطلعنا الشاعرة نازك الملائكة من خلال نتاجها الأدبي (لمحات من سيرة حياتي وثقافتي) التي دونتها ضمن مقدمة ديوانها (يغير الوانه البحر) عن انطباعها تجاه (أُمّها) وسنعرض لها في حديثنا الآتي:

صورة الأُم المثقفة:

تقول نازك الملائكة في ديوانها (قرارة الموجة) المجلد الثاني وهي تهدي نتاجها الشعري المثمر إلى أمُّها: "إلى أمي – أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها"[2]، وتقول نازك الملائكة في موضع آخر "كانت والدتي في سنواتي الشعرية المبكرة تنظم الشعر، وتنشره في المجلات والصحف العراقية باسم السيدة أم نزار الملائكة، وهو اسمها الأدبي الذي عرفت به"[3]، ثم تذكر نازك الملائكة الأثر الكبير لأُمها في حياتها الشعرية إذ تقول: ((أما والدتي، فقد كان لها أثر واضح في حياتي الشعرية، لأني كنت أعرض عليها قصائدي الأولى فتوجه إليها النقد، وتحاول إرشادي ولكني كنت أُناقشها مناقشة عنيدة، فقد لاح عليّ منذ مرحلة الثانوية التأثر بالشعر الحديث، وبشعر محمود حسن إسماعيل وبدوي الجبل، وأمجد الطرابلسي، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخوري، وأمثالهم، بينما كانت تعجب بشعراء أقدم مثل الزهاوي خصوصاً فقد كان شاعر الأثير، وكان اهتمامها بالشعر القديم أكبر من اهتمامي))[4]، ((ولكن ذوق أُمي نفسها بدأ يتطور، وقد بدأت أمي تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة، وكانت تعجب بشعر إبراهيم ناجي، صالح جدوت، ولكن اتجاهاتي الشعرية بقيت مختلفة عن اتجاهاتها بسبب معرفتي للإنكليزية والفرنسية وكثرة قراءتي لشعرهما))[5].

إن وجود الأُم (المثقفة) في حياة نازك الملائكة كان يمثل نقطة انطلاق وتحول في مسيرتها الأدبية؛ لأن امتلاك الأُم للثقافة ومنها الأدبية والمعرفية ينعكس ذلك بالإيجاب على مستوى الإدراك الأدبي والمعرفي والعقلي لدى الشاعرة عبر الإدراك والفهم الذي تهبه (الأم) لنازك ومن ثم انتاج عقل أدبي ونقدي وثقافي متحرر وواع، إذ كانت (أُمُّ) نازك الملائكة (أُم) مثقفة مواكبة لتحركات العصر من معارف أدبية وثقافية مما انعكس ذلك على نازك الملائكة وأمدها بالمعارف المهمة التي تحتاجها بالإضافة إلى تفهمها للزمن الذي تعيش فيه وما يطرأ عليه من تغيرات وتفهمها لشخصية نازك وأبعادها.

الأُم الصديقة:

وتسرد نازك حديثها عن أمها بالقول: أنها بقيت هي وأمها صديقتين كل منهما يقرأ للآخر قصائده حتى وفاتها عام 1953 وقد بلغت الثانية والأربعين من عمرها، ويبدو من حديث نازك أن (أُمها) كانت مثقفة ثقافة حقيقية تمكنها من التعامل مع ابنتها نازك واستيعابها لكل أبعادها المترامية وكان ذلك جلياً من خلال علاقة الثقة العميقة بينها وبين والدتها والتي تعكس تمازج الأرواح والأفكار والمشاعر والطموحات لديهما والتي تمثلت بعلاقة (الصداقة) التي تربط بينهما فكانت (أُمّ نازك) هي المرأة التي تناقش وتحاور وتعاون وتؤازر ولا يمكن لنازك إلا الرجوع إليها فكانت العلاقة بينهما علاقة مخلصة وخالصة يملأها الحب والمودة والقبول خالية تماماً من حكم وتسلط الآخر، مما منح نازك التقدير العالي لذاتها وأشعرها بأهمية وجودها، مما انعكس ذلك على كتاباتها الأدبية والثقافية فكانت (الأُم) عند نازك هي محل الثقة

(1)صورة الأُم في الشعر العربي الحديث، حامد صالح جاسم، مجلة ديالى، العدد (25)، 2007، 28.
(2) نازك الملائكة، الديوان، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، 1997، ص202.
(3) نازك الملائكة، يغير الوانه البحر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998، ص7.
(4) نازك الملائكة، المصدر السابق، ص7.
(5) المصدر نفسه، ص8.

الأول وموطن الدعم القوي والمستمر حتى الموت (فالأُم) عند نازك متعاطفة متفهمة مستمعة وهذا كله أدى إلى تطوير إمكانيات نازك وطاقاتها وبنجاح هائل.

الأُم الحبيبة الفقيدة:

عاشت نازك الملائكة فاجعة موت (أُمها) وهي ما تزال في ريعان العمر، بسبب مرضها المفاجئ والشديد والذي أدى بها إلى مفارقة (أُم) نازك للحياة، وقد مثلت فاجعة موت (الأُم) عند نازك فصولاً طويلة ومؤلمة وحزينة في حياتها، إذ كانت الشاهد الوحيد من عائلتها على حالة وفاة (أمُّها) في إحدى مستشفيات لندن بعد فشل العملية التي أجرتها هناك، فقد عاشت نازك معاناة قاسية وأوقات صعبة ومؤلمة لم تشهدها في حياتها حيث تقول: ((وفي عام 1953 حدث لي حادث هز حياتي إلى أعماقها، فقد مرضت والدتي مرضاً مفاجئاً شديداً، وقدر الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية لها من لندن فوراً، ولم يكن في بيتنا من يستطيع السفر معها إلى إنجلترا سواي بسبب معرفتي لندن، وحياتي فيها فترة، وبسبب إتقاني اللغة الإنجليزية، وكان نزار قد سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة مما اضطرني أن أصحب أمي المريضة أشد المرض إلى لندن على عجل والرعب مُستولٍ عليّ، فقد كنت خائفة من أعماقي من شيء رهيب سيقع لي لم أشخصه، وقبل سفري بأسبوع حلمت أنني أسير في شوارع لندن وأحاول شراء تابوت ملون، وأبحث وأبحث وأبحث في لهفة ورعب فلا أجد من يبعني تابوتاً ولم أقص حلمي هذا على أحد في البيت، وسافرت بها وتم إدخالها إلى غرفة العمليات، وخرجت منها محمولة على نقالة حيث أودعوها في عنبر الموتى بالمستشفى ريثما يتم إجراءات الدفن المعقدة، وقد رأيتها وهي تحتضر في مشهد رهيب هز حياتي إلى إعماقها، وكان عليّ أن أحضر مشاهد الجنازة والدفن وأنهض بأعبائها، وهي أعمال لم أعتد القيام بمثلها، وعدت إلى العراق بعد أسبوعين ذابلة حزينة مهزوزة النفس، فقد كنت أحب أمي حباً شديداً لا مثيل له))[1].

لقد تحولت نازك إلى كتلة من الحزن والأسى، فلا شيء يواسي نازك أو يخفف عليها فاجعة فقدان أُمها الحبيبة، وهي تسترجع كل مشاعر الحب والمودة والتقدير والدعم الذي منحتها (أم نازك) لها التي تركتها ورحلت إلى العالم الآخر، فتفاقم إحساس نازك بالغربة والوحشة والفقد تجاه باب الرحمة الكبير (أُم نزار الملائكة) وسنون من القسوة والألم والغربة تنغرس في قلب نازك فقد غلق الموت باب الرحمة الكبير والسند الأثير، حيث تقول نازك: ((فقد كنت أحب أمي حباً شديداً لا مثيل له، وما كدت أرى إخوتي وأقاربي يلبسون السواد وهم يستقبلوني في مطار بغداد حتى بدأت أبكي وأبكي بكاء لا ينقطع ليلاً ولا نهاراً وسرعان ما لاح لي بوضوح أنني مريضة فبادرت إلى مراجعة طبيب عالجني بالحبوب المهدئة فتوقفت دموعي، وإن بقى الحزن يحفر في حياتي حتى اليوم بعد خمسة وأربعين سنة من وفاة والدتي يرحمها الله))[2].

وتذكر نازك أن حصيلة فقد أمها كان الحزن والأسى الذي ملأ حياتها سنون طويلة، إذ تقول نازك: "قد يكون الشعر بالنسبة للإنسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً غير أنه بالنسبة للمحزون وسيلة حياة، وقد كانت القصائد التالية"[3] (اغنية للحزن، مقدم الحزن، الزهرة السوداء)"[4]، محاولة منها للتعزي قد لجأتُ إليها على أثر وفاة أمها في ظروف محزنة، عانت فيها معاناة خاصة، ولم تجد لأمها منفذاً آخر غير أنها تحبه وتغني له"[5].

(1) نازك الملائكة، المصدر السابق، ص18.
(2) نازك الملائكة، المصدر السابق، ص19.
(3) المصدر نفسه، ص309
(4) المصدر نفسه، ص311، 314، 338.
(5) المصدر نفسه، 309.

فنجدها في القصيدة الأولى (أغنية للحزن) تتمثل ذكرى أمها وحزنها على فقدها كغلامٍ دائم الحزن فتقول[1]:

إنه ذاك الغلام الدائم الحزن الخجول
ساكن الأمسية الغرقى بأحزانٍ خفية
والزوايا الغيهبيات السكون الشفقية
أبداً يجرحه النوح ويضنيه العويل
فليكن صمتنا ظلٌّ ظليل
يتلقاه وأحضانٌ خفية

تعبر نازك الملائكة عن حزنها على فقد أمها بالغلام؛ فتُلبِس مشاعرها هيئة طفل دائم الخجل والانكسار، وكأن الألم الذي يسكنها قد تجسّد في هذا الغلام. فهو "الدائم الحزن"، "الخجول"، و"ساكن الأمسية الغرقى"، وكلها أوصاف تُسقِطها الشاعرة على ذاتها المكلومة، فالغلام هنا ليس شخصًا حقيقيًا، بل رمز لروحها الكسيرة بعد فقد الأم.

وتعمد إلى تصوير الغلام محاطًا بـ"أحزان خفية" و"زوايا غيهبيات السكون"، وهي صور تبرز العزلة العميقة والوجع الصامت الذي يحيط بها كما يحيط بالطفل في وحشته، فالنوح يجرحه والعويل يضنيه، في إشارة إلى أن كل صوت حزن خارجي يوقظ في داخلها حزنًا أعمق، وكأنها تتلقى كل نداء للموت أو الفقد بجرحٍ جديد، لذا "فليكن صمتنا ظلٌّ ظليل"، فتطلب أن يُحاط هذا الغلام – أي حزنها – بصمتٍ رحيم، وأن تُحتضَن آلامها في أحضان خفية تواسي ولا تُوجع. ويغدو مشهد الحزن كله استعارة لحرقتها على الأم ورغبتها في أن يُترك وجعها يهدأ في ظلّ من الطمأنينة والاحتواء.

ثم تصرح في القصيدة الثانية(مقدم الحزن) بأن ذلك الصبي هو تعبير عن حزنها العميق الذي تخفيه فتقول[2]:

إنه حزننا الصبي لقينا ه على غير موعدٍ وانتظار
لم يزل هادئًا خجولاً كما كا ن ومازال غامق الأسرار
جاءنا دافئاً أرق من الدمـ ـع وأحلى من رعشة الأوتار
ففرشنا له طريقاً من اللهـ فة والحب والدموع الغزار

تُجسِّد الشاعرة الحزن هنا بصورة طفل صغير يأتي بلا موعد، فيتحوّل الوجع إلى كائن حيّ يطرق القلوب فجأة. تقول: "إنه حزننا الصبي لقيناه على غير موعد"، لتعبر عن أن هذا الحزن الذي أصابها عند فقد أمها لم يكن متوقعًا، بل باغتهم كما يفعل الفقد حين يهبط بغتة. ومع هذا، فهو "هادئ خجول" كما كان دائمًا، أي أن الحزن مألوف لهم، يعيش في أعماقهم منذ زمن، لكنه يظل محتفظًا بسره وغموضه، لا يُفصح تمامًا عما يحمله من ألم.

([1]) ديوان نازك الملائكة ج(2): ص311-312
([2]) ديوان نازك الملائكة ج(2): ص314-315

وتمنح الشاعرة الحزن صفات حميمة فهو يحمل ذكرى أمها بأنه "دافئ"، "أرق من الدمع"، و"أحلى من رعشة الأوتار"، فيجمع بين القسوة والعذوبة، وبين الوجع والجمال المأساوي، فالحزن هنا ليس مجرد ألم، بل تجربة وجدانية عميقة تهزّ الروح وتُرقّق الإحساس. وحين "فرشوا له طريقًا من اللهفة والحب والدموع"، فهم يتعاملون معه كما يُستقبل ضيفٌ عزيز، فيفسحون له مكانًا في القلوب، يسكنهم ويسكنونه، في علاقة حميمة تُظهر تصالحهم مع الألم واعترافهم بعمقه وثباته في نفوسهم.

ثم تختتم تلك القصائد الثلاث بقصيدة (الزهور السوداء) فتقول فيها[1]:

إنها زهرتنا الوسنى الحزينة

أمسنا في لونها وما زال لدنا

فمنحناها مآقينا السخية

وحملناها مع الذكرى وعدنا

تتجلّى الذكرى الحزينة ذكرى وفاة أمها في صورة زهرة وسنى، أي زهرة يغلب عليها النعاس والوهن، فتبدو ساكنةً، حزينة الملامح، كأن الحزن نفسه انعقد في أوراقها، فهذه الزهرة بأنها تمثل أمسهم، وماضيهم الذي ما زالت ألوانه حيّة في ذاكرتهم، وكأن الزمن لم يمحُ أثرها من ذاكرتهم، واللون هنا رمز للذكريات التي لا تزال نابضة في الوجدان رغم مرور الزمن، فالذكريات وما تحمله من ألم تستحق البكاء، بل تُكرَّم بالدموع لأنها جزء عزيز من الماضي. "وحملناها مع الذكرى وعدنا" لم يتركوها وراءهم، بل ضمّوها في رحلتهم، دليلًا على أن الماضي بأحزانه ما يزال يؤثر فيهم، ويشكّل جزءًا لا ينفصل من حاضرهم.

فلقد مثلت فلقد أفردت نازك لأمها ثلاثة قصائد عبرت فيها عن حزنها الدفين الذي لازمها منذ فقدها، حتى أصبحت في نفسها ذكرى تسكنها وتحملها في قلبها في صمت أينما رحلت.

وتنقل نازك الملائكة شرخ روحها الملتهب الذي أدى بها إلى رفع صرخة الموت كنداء استغاثة لنهاية العذاب الذي حاصرها جراء فقدان (الأم) الرؤوم فكأن روحها قد فارقت الحياة مع موت أُمها فلا بال يهدأ ولا حزن ينتهي ولا فرح يكتمل، فتمنت نازك أن تلتحق بذات الرحلة (رحلة الموت) التي خطفت (أُمها) الرؤوم كمخرج للأزمة حيث تقول نازك: ((وما كان نظري يقع على أمي وهي ممددةٌ على منضدة العمليات حتى أدركت انها قد ماتت وكان منظرها رهيبا وفي وجهها عذاب لا أطيق أن أتخيله دون أن أتمنى الموت[2]. فكأن الحياة سقطت من عين نازك رغم كونها لازالت على سطح الحياة فأنطفأت روحها وفقدت الأمل والأمان.

الأم الراعية:

تبدأ نازك الملائكة رحلة الأمومة مع طفلها المحبوب (بُراق) تلك الرحلة التي تفيض برائحة البهجة والسلام والأمل، ويتضح ذلك جليا من خلال لغة الحوار التي تبعثها لطفلها (بُراق) إذ تُقبل نازك على طفلها المحبوب (بُراق) إقبال العاشق المحب فتناغيه بأعذب الكلمات وأحلاها، ونرى ذلك جليا في نصها الشعري بدءاً من عنوان قصيدتها (أغنية لطفلي) والمفردات (اغنية، طفلي، الحلو، الساهي، الغافي، صغيري) كلها تشكلات لغوية ذات دلالة تراكمية إيجابية تفضي إلى صورة ملؤها الدفء والحب والحنان

(1) ديوان نازك الملائكة ج(2): ص 318-319
(2) المصدر نفسه

والدلال والقبول الجميل لذلك الابن المحبوب (بُراق) والذي بدى عبر مفردات القصيدة (ناعساً، حالماً، ساكناً، مطمئناً)، حيث تقول نارك الملائكة في قصيدتها أغنية لطفلي[1]:

ماما ماما ماما ماما

برّاقُ الحلوُ اللثغةِ يَنْوي النوما

والنومُ وراء الربوة هيّا حُلْما

برّاقُ الغافي الساهي يسرِقُ قَلْبا

والقلبُ سيمرعُ يُنْبتُ ورداً رطبا

ممّا يكشف عن فطرة الذات الأنثوية الراعية عند نازك وحركتها وانفعالها تجاه طفلها (بُراق) وهدوء وسكون وسلام لطفلها براق الذات المرعية فتمنحه بذلك السلام الآمن فينمو (بُراق) سليماً خال من عقد السوء ممتلئ بأجمل أطياف الألفة والمودة والمُدارة فتنثر في كيانه بذور الأمن والأمان والعطف لتكون تلك البذور معولاً للبناء ومنح الثقة في كيان الطفل (بُراق) منذ نعومة أظفاره، وكما وتحيل الجمل التقابلية (اسميه وفعلية) في نصها الشعري إلى قريحة لغوية أنيقة غايتها الاولى تمثيل فطرة الأمومة السليمة من مثل قولها (براق الحلو – ينوي النوما) و (النومُ وراء الربوة هيّا حلما) و (الحلم له أجنحة ترقى النجما) إلى آخر القصيدة[2]:

وهي غاية قديمة قدم الأزل، وأجمل ما في تلك الفطرة أنها تمتزج بكل ألوان الفرح والبهجة والاستمتاع تكاد تصل إلى درجة الاحتفال والتكريم بالمولود (بُراق) فعلى الرغم مما تتكبده (الأم) من الآم ومشقة ومتاعب لا نجد للشاعرة أي مرور ولو كان خاطفاً لتلك المواقف فلا يوجد تعارض بين جانب (المشقة والمتاعب النفسية والجسدية) حملاً ووضعاً وتربيةً وبين جانب (السرور والارتياح والبهجة) بل العكس نجد أن هناك انزياحاً معنوياً كاملاً للمشاعر السلبية حتى الزوال وهذا واضح جداً من خلال استخدامها لمفردات كـ(الحلو، الربوة، الحلم، والنجمة، قلبا، ورداً، اريجاً، خضرة، حمرة) وغيرها.

كما تقول في مقطع آخر من قصيدتها[2]

برّاقُ الغافي الساهي يسرِقُ قَلْبا

والقلبُ سيمرعُ يُنْبتُ ورداً رطبا

والوردُ يَرشّ المهدَ أريجاً عذبا

وأريجُ والوردِ لَعوبٌ يَهْوَى الوَثْبا

كما يلفت انتباهنا في النص الشعري هو الحاح نارك الملائكة (الأم) على الاهتمام العاطفي المقرون بالحماية، اذ تقول في مقطع من قصيدتها:

والنجمُ له شفةٌ ويُحبّ اللثما

واللثمُ سيوقِظُ طفلي

ماما ماما

وتقول في موضع آخر[3]:

وأريجُ والوردِ لَعوبٌ يَهْوَى الوَثْبا

(1) ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، 1997، ص552.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.

الوَثْبُ سيوقِظُ طفلي:
بابا بابا

وفي شيء من التأمل في النص نلاحظ عبر ما وجدناه من مفردات لغوية تحيل بنا إلى فاعلية نازك الملائكة كـ(أم راعية) فالأمومة ليست مجرد (فطرة) وإن كانت هي مكونها الأساس فيضاف إلى ذلك الوعي بالقيمة الإنسانية لتلك الفطرة والتي لا تخلو أبدا من الوعي والادراك والعمل لتصل الأمومة الى ذروتها عند نازك وهي صناعة الإنسان عبر ملاحقته ورعايته وتدليله.

الأم العطوف:

وتسرد نازك الملائكة حكاية العطف العميق والحب والرحمة والحنان، التي تتصف بها (أُم) نازك إذ تقول: ((وكانت حياة أُمي شعلةٌ من العواطف التي لا تهدأ قط، فهي شديدة الحب لنا نحن أولادها وكثيرة القلق علينا من أن يصيبنا شيء، بحيث تصهر نفسها صهراً إذا ما تأخر أحدنا في المدرسة دقائق عن الموعد، فإذا عدنا جميعاً ورأتنا حولها انطلقت إما في نظم الشعر وهو عملها الأثير أو الاستماع إلى الراديو))[1].

ويكشف لنا حديث نازك عن (أُمها) إدراك نازك الملائكة لعمق مشاعر حب أُمها التي لا حدود لخارطتها ولا نهاية لامتدادها، فهي تجسد أعلى مشاعر الرحمة والرأفة تجاه أبنائها حين تصفها بأنها: ((شعلةٌ من العواطف)) مما جعل نازك تشعر بالدعم الكامل والاهتمام الحقيقي بها وبإخوتها من قبل (أمها الرؤوم). فـ(أُم) نازك الملائكة كانت تعي تماما أن أبنائها في حياتها هم كنزها الثمين وهم أهم الأولويات وأن مشاعر الرحمة والرأفة تجاههم متدفقة ثابتة ودائمة لا تتغير بتغير الزمان أو توالي الطارئات من الأحداث لذلك فإن بعدهم كان يهز استقرارها الداخلي، فأدركت أن (القرب) أو (الصلة) أو (اللقاء) بهم هو ما يمنح قلبها السكينة والسلام، فأثمر ذلك العطف العميق عند (نازك) عشقاً وشوقاً وطاعة وعرفاناً لأُمها الرؤوم التي كانت تتحول بركاناً هائجاً منصهراً قلقاً إذا ما رواد خاطرها أن خطراً ولو خيالاً قد يمس أبنائها، ويبدو ذلك جلياً في قول نازك: ((كثيرة القلق علينا من أن يصيبنا شيء بحيث تصهر نفسها إذا ما تأخر أحدنا في المدرسة دقائق على الموعد))[2].

فكانت بذلك (أُم) نازك إما حاضنة لأبنائها تُرخي بسدول عاطفتها الرؤوم عليهم فتنثر في نفوسهم بذور الرحمة والرأفة والمُدارة لتطويهم تحت جناحي عشقها الأبدي اللامحدود فيسكن ويطمئن قلبها وقلوبهم وتقر عينها وعيونهم.

وفي قصيدة (الماء والبارود) نجد الملائكة تُظهر علاقة الأم بابنها بأسلوب يُشعُّ عطفاً وهي تصف لهفة الأم على عذاب ابنها وانهياره، فانهيار الابن هو سببا في انهيار الأم، فتقول[3]:

الطفل إسماعيل يبكي عطشا

لم يبق في خديه لون وقمر/ وهدبه يسحُّ إيقاع مطر

وغصن جسمه ذوى وارتعشا

(1) صفحات من حياة نازك لملائكة، حكايات مع الأدباء، حياة شرارة، المدى للثقافة والنشر، ط2، ص105.
(2) المصدر نفسه.
(3) يغير ألوانه البحر: ص22

وانكمش الوجه الوضيء المقمر/ ...

وقلب أمه الحزين برعمٌ منهصر

ودمعها على مرايا وجهها ينحدر

تهيم في العراء/ تجتاز سهول النار في ذهولها وتعثر

ويكتوي من دمعها حتى الحجر

تصوّر هذه الأبيات مشهدًا إنسانيًا بالغ التأثير، تُبرز فيه الشاعرة العلاقة العاطفية العميقة بين هاجر الأم ووليدها إسماعيل، كعلاقة رمزية لعلاقة الأم بابنها القائمة على الرحمة والوجع والارتباط الروحي الذي يتجاوز حدود الجسد، فالطفل إسماعيل هنا رمزٌ للبراءة والعجز؛ يبكي عطشًا وقد ذوى جسده وبهت وجهه حتى فقد لونه ونوره، بينما تنقل الصور الشعرية المتتابعة — كـ"هدبه يسح إيقاع مطر" فتصور غزارة الدموع المتساقطة و"غصن جسمه ذوى" — إحساس الضعف والذبول، لتؤكد أن معاناة الطفل تُترجم مباشرة إلى عذاب أمّه.

أما الأم، فتنتقل إليها تلك المشاعر مباشرة وتوصف بأنها برعم منهصر، أي مخلوق رقيق متهدّل من الألم، إذ يتجسّد حبها لابنها في دموعها التي تنحدر على وجهها، فتغدو نارًا تحرق الحجر ذاته، هذه الصورة التي تصف دموع الأم وقدرتها على إذابة الحجر يعمّق من صورة عاطفة الأم بوصفها قوة كونية تتجاوز الطبيعة، ومن خلال رحلة الأم في العراء "تجتاز سهول النار" في ذهولها، نرى أنها تتحمل الألم الجسيم بدافع الحب الغريزي الفطري لولدها، وتمضي نازك الملائكة في القصيدة لتصور لنا وصفاً رائعاً لعلاقة الأم بابنها من خلال صورةً مفعمة بالحنان والوجع معًا، فتبرز الأم كنموذجً للفداء الإنساني المطلق، التي تحيا بعذاب ابنها وتفنى من أجل نجاته.

الأُم القومية الثائرة:

وفي هذه الصورة تمزج نازك صوت أُمها ضمن إطارٍ قوميّ وثوريّ لتكون (أُم نازك) مرجعاً قومياً إنسانياً ثائراً ضد طغاة الأرض فهي ثائرة ضد قوانين الجبروت والتسلط من خضوع وخنوع، وكل ما شأنه يسلب الإنسان كرامته وإنسانيته فهي ترفض أن تكون الأمة مستسلمة للظروف التي يعتقد البعض أنها قدر محتوم مكتوب في اللوح المحفوظ وتدعو إلى محاربة الظالمين والمتكبرين.

صوت أمي أتى دافئاً كأريج التراب

في مروج فلسطين، صوت انسياب

كل يومٍ تموتين في القدس، كل صباح

يقتلونك، تنقل اخبار موتك سود الرياح

تسقطين شهيدة

ترقدين مخضبة بدماء العقيدة[1]

(1) ديوان نازك الملائكة الصلاة والثورة والاعمال الشعرية الكاملة، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، 2012، ص12.

تقوم نازك بالحديث عن صوت أمها الذي جاء من خلف شريط مسجل بعد عشرين عاماً من وفاتها، وترى نازك أنه ما دامت القدس محتلة وأن فيها أُناس يقتلون فإن أمها تموت كل حين وكل يوم ممثلة بذلك كل شهداء الكرامة والحرية ولا سبيل من إيقاف ذلك الموت إلا بشهادة الأبطال، وثورة الثوار وهنا جسدت نازك الملائكة في حديثها عن أُمها صورة الأُم الثائرة على أبنائها (مجتمعها) و(أمتها) فتدعو إلى خوض الصراع إلى أن يتم تحقيق النصر والشهادة، وتميزت تلك الصورة بالغضب الشديد والنقد اللاذع والسخط العارم بينها (أُم نازك) وبين أفراد (مجتمعها وأمتها) نتيجة إلى اللامبالاة وعدم الاهتمام لمصير الأُمة وهمومها وقضاياها فتكون بذلك سبباً في الحث على استنهاض الهمم وشحن الإرادة فتتحول كلماتها إلى ساحة حرب تدعو من خلالها إلى النيل من العدو القاتل.

وكل من يحاول التفريق بين سكان الوطن العربي وقوميتهم العربية مثلهم في ذلك مثل الطفل الذي يظن أنه يستطيع بحركةٍ مفاجئة أن يفصل ظله عن جسيمه، فالعروبة هي الصفة التي يمنحها الوطن العربي لأبنائه من سكان المنطقة العربية، وهي كالظل الذي يرميه الجسم على الأرض، فارتباط العرب بأرضهم كارتباط الأم بأبنائها وهي حقيقة لن تتغير[1].

وعبَّرت نازك الملائكة عن العلاقة الوثيقة بين الوطن الأم وبين أبنائه كالعلاقة بين اليتيم الذي يشعر بدفء ضمة والديه بعد فقدهما، فنراها تعبر عن فرحتها بالجمهورية قائلة[2]:

فرح الأيتام بضمة حبٍ أبوية

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمس نسائم ثلجية

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهورية

فنجد من خلال الأبيات مدى ارتباط نازك بالوطن كأم بعلاقة وجدانية عميقة تربطها بالوطن، إذ تُجسّد حبّها له من خلال تشبيهات حافلة بالعاطفة والدفء الإنساني، فهي ترى في الوطن أمًّا تحتضن أبناءها بعد حرمان، وتشبه فرحة الأيتام بضمّة أبويهم بحبّ المواطن لوطنه حين يشعر بأمان الانتماء إليه، هذه الصورة الإنسانية العاطفية تكشف أن الوطن في نظر الشاعرة ليس أرضًا أو حدودًا سياسية، بل كيانًا عاطفيًّا يمنح الحنان والرعاية والأمل.

وفي تتابع الصور (عطشان يذوق الماء، تموز يلمس نسائم الثلج، الظلام ينبع منه الضياء) تعبيراً عن التحوّل من المعاناة إلى الطمأنينة، وهو ما يجعل فرحتها بالجمهورية أشبه بولادة جديدة للوطن الأم، التي تبعث الحياة في قلوب أبنائها بعد ظمأ وشقاء، وهكذا تمزج نازك بين رمزية الأمومة ودفء الوطن لتجعل من حبها له حبًّا طاهرًا يغذّي الروح كما تغذّي الأم طفلها.

الخاتمة

استطاعت الشاعر نازك الملائكة تغطية صور الأُم في نتاجها الأدبي وهي صوراً لم تكن مألوفة كثيراً في القصيدة العربية التقليدية، فهي معلمة ومثقفة وناقدة وصديقة موآزرة، مريضة متألمة، فقيدة راحلة، وكان للصورة الإيجابية المساحة الأكبر، إذ تمكنت نازك الملائكة من إبراز الدور الثقافي والمعرفي والإنساني (للأُم) وأثر هذا الدور الكبير في حياتها الأدبية والنقدية والثقافية والفكرية ولم نعثر على صورة سلبية للأُم في نتاجها الأدبي سوى صورة الأُم (المريضة) والأم الراحلة، فكانت (الأُم) عند

(1) ينظر: التجزيئية في المجتمع العربي، نازك الملائكة، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1394ه- 1974م، ص 93
(2) يغير ألوانه البحر: ص22

نازك المعلمة الأولى في الشعر والثقافة والمعرفة وباباً للرحمة والمودة والسند، واتخذتها مدرسة وموطنا وملاذا وحزنا.

المصادر والمراجع

- الأُمومة جوهر أدوار المرأة، نموذج المرأة المسلمة، فاديا حسن حجازي، مجلة أوراق ثقافية، العدد (23)، السنة الخامسة، 2023م.
- التجزيئية في المجتمع العربي، نازك الملائكة، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1394ه- 1974م
- دور الأم في التربية، علي القائمي، دار النبلاء- بيروت، ط5، 1326ه- 2005م
- الديوان، نازك الملائكة، المجلد الثاني، دار العودة- بيروت، 1997م.
- سيكولوجية الامومة، محمد المهدي، www.elezayem.com
- صحيح مسلم، أبي الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الآفاق العربية-مدينة مصر، القاهرة، 2005م.
- صفحات من حياة نازك لملائكة، حكايات مع الأدباء، حياة شرارة، المدى للثقافة والنشر، ط2.
- الصلاة والثورة والاعمال الشعرية الكاملة ج2، نازك الملائكة، المجلس الأعلى للثقافة، 2012م.
- صورة الأُم في الشعر العربي الحديث، حامد صالح جاسم، مجلة ديالى، العدد (25)، 2007م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة- الكويت، 1993م.
- المرأة في الإسلام، فريبا علاسوند، مركز الحضارة والتنمية، الفكر الإسلامي، تر: أحمد الموسوي وعباس حداد، بيروت، 2017م.
- المرأة مع النبي، بنت الهدى، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة أمير- طهران، 1999م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى الزيات، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المكتبة العلمية، ج1، 1978م.
- مفردات الفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ت، صفوان عرفان داووي، دار القلم-دمشق، الدار الشامية- بيروت، 2002م.
- يغير الوانه البحر، نازك الملائكة، الهيئة العامة لقصور الثقافة-القاهرة، 1998م.